

السبـقـة 2009-10-10

771—فإن أعطوا منها رضاً، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون!

تعتقة الدستور

أشعر أن مدخل هذه التعنعة بتطبيق مغزى هذه الآية الكريمة هو بمثابة تحصيل حاصل، ذلك أن منطق الآية التي نتشهد بها هو بسيط وبديهي ومفيض بشكل لا يحتاج إلى التذكرة، خاصة في موضوع معاد مثل موضوع اليونسكو. بصراحة، إن ما دعاني إلى الاستشهاد بها هو استمرار تفسيرات فشل وزيرنا الثقاف الفاضل في اليونسكو. المفترض يا سادة يا كرام أن تك الأقلام عن مثل ذلك، أقلام المسؤولين والمتورين بالذات، وأن يخفف سعادته من غضبه المستثار مجرد أنه خسر شوطاً في لعبة دخلها وهو يعرف قواعدها، ويزعم ناسنا، وحكامنا في مقدمتهم، ومنتفعون أيضاً أنهم ينتمون إليها، بل ويقدسونها، بلا بديل.

من حقنا أن نأسف، أن نحزن، أن نتعلم، لكن ليس من حق أحد مجرد الخسارة أن يشجب أهم قواعد اللعبة، ليس من حق أحد رضي أن يلعب مباراة في الشطرنج، أن يتهم خصميه بترقية بيدق إلى فرز (عسكري إلى وزير)، ويدعى أن هذه الترقية خطأ وغير معقولة مجرد أنه لم ينتبه إلى أن العسكري تقدم في رقعة الشطرنج حتى آخرها واحدة واحدة، ليس من حق المهزوم أن يتمادي، فينكر أو يتنكر لهذه الترقية بدعوى أن عساكره كانت أكثر سلامة وعدداً في أول الدور، والأعن أن يغضي بعد انتهاء الدور "بكتش مات" يتهم خصميه بالسرقة أو النقل الخطأ أو تجاوز القواعد. إن ما حدث بعد الخسارة، وما نشر في كل وسائل الإعلام عندها، وطبعاً نقله إعلام العام، يبرر للناجحة، ومن وقفوا وراءها أنها الأولى بالمنصب، لماذا نشوه أنفسنا بأنفسنا هكذا؟ هل لو كان سعادة وزيرنا قد نجح، هل كانت السيدة إيرينا بوكونفا سوف تطلق مثل هذه التصرعات وهي التي حصلت على 29 صوتاً في اليوم السابق لأخر تصفيية؟، صحيح أنها حصلت على ثمانية أصوات في اليوم الأول، لكن من قال أن "كتش مات" في الشطرنج هي نتيجة النقلات الأولى؟ الحمد لله أن وزيرنا هنا ما بروح رياضية، وأن سعادتها ذكره بكلمات طيبة، ولكن ما فعله بعد عودته أفسد هذا وذاك، فجاءت تصريحاته مع الحملة التبريرية الدفاعية التوعدية

الحالـية، تـشكـكـنـا فـهـذـهـ التـهـنـئـةـ، وـانـ "ـالـلـىـ فـالـقـلـبـ"ـ، لـيـسـ هـذـاـ فـحـسـبـ، بـلـ إـنـ هـذـهـ الـخـمـلـةـ تـفـضـحـنـاـ إـذـ تـعـلـنـ أـنـاـ لـاـ نـعـرـفـ قـوـاـعـدـ لـعـبـ الـدـيـقـرـاطـيـةـ أـصـلـاـ، أـنـاـ لـاـ أـحـبـ هـذـهـ الـدـيـقـرـاطـيـةـ الـأـمـرـيـكـيـةـ كـمـاـ لـاـ أـحـبـ الشـطـرـنـجـ وـلـاـ أـنـصـحـ مـرـضـاـيـ بـلـعـبـهـ، لـكـنـ مـاـ دـمـنـاـ قـدـ رـضـيـنـاـ أـنـ "ـنـلـعـبـ دـيـقـرـاطـيـةـ"ـ، فـلـابـدـ أـنـ خـتـرـمـ قـوـاـعـدـ الـلـعـبـ حـتـىـ "ـكـشـ خـسـرـ"ـ،

نـرـجـعـ مـرـجـوعـنـاـ لـلـآـيـةـ الـكـرـيـةـ:ـ وـنـورـدـ لـهـ أـرـبـعـةـ مشـاهـدـ اـسـتـشـهـدـ أـصـحـاـبـهـ يـهـاـ بـشـكـلـ جـمـيلـ وـمـفـيدـ

الأولـ:ـ أـحـوـالـ الـهـوـاـ (ـوـبـعـضـ الـخـتـرـيـنـ)ـ مـنـ مـضـارـيـ الـبـورـصـةـ،ـ حـينـ يـعـتـرـفـونـ الـبـورـصـةـ أـفـضلـ اـسـتـمـثـارـ طـالـاـ كـسـبـتـ أـسـهـمـهـمـ،ـ ثـمـ إـنـهـمـ يـبـلـأـوـنـ الـدـنـيـاـ صـرـاخـاـ وـعـوـيـلـاـ إـذـاـ مـاـ خـسـرـواـ،ـ وـهـاتـ يـاـ اـتـهـامـاتـ وـاحـتـجـاجـاتـ،ـ مـعـ أـنـهـمـ عـادـةـ لـاـ يـكـنـ أـنـ يـثـبـتوـاـ أـيـ خـرـوجـ عـلـىـ قـوـاـعـدـ الـبـورـصـةـ

المـثالـ الثـالـثـ:ـ مـاـ حـدـثـ فـيـ اـنـتـخـابـاتـ الـجـزـائـرـ الـمـشـهـورـةـ،ـ حـينـ كـانـتـ الـدـيـقـرـاطـيـةـ أـحـسـنـ شـيـءـ،ـ فـلـمـ فـازـ جـبـهـةـ الـإنـقـاذـ فـيـ الـجـوـلـةـ الـأـوـلـ،ـ أـلـغـيـتـ الـجـوـلـةـ الـثـانـيـةـ،ـ وـهـذـاـ هـوـ مـاـ حـدـثـ،ـ أـوـ كـادـ فـيـ اـنـتـخـابـاتـ الـفـلـسـطـيـنـيـةـ فـمـادـاـمـ أـهـلـ الـوـدـ وـالـتـنـازـلـاتـ يـنـجـحـوـنـ فـالـدـيـقـرـاطـيـةـ أـحـسـنـ نـظـامـ،ـ أـمـاـ إـذـاـ بـعـثـتـ هـاسـ،ـ فـمـلـعـونـ أـبـوـ الـدـيـقـرـاطـيـةـ وـمـنـ شـارـ بـهـاـ.

المـثالـ الثـالـثـ:ـ جـوـائزـ الـدـوـلـةـ،ـ إـذـاـ أـخـذـتـهـاـ أـنـاـ فـهـيـ أـعـظـمـ حـقـ وـصـلـ لـأـصـحـاـبـهـ،ـ وـجـانـهـاـ أـشـرـفـ مـوـضـوعـيـةـ،ـ وـإـذـاـ لـمـ أـنـلـهـاـ،ـ فـهـيـ ثـلـلـيـةـ،ـ وـ"ـكـوـسـةـ"ـ،ـ وـرـشـوـةـ،ـ وـفـيـ أـحـسـنـ تـقـدـيرـ:ـ لـاـ قـيـمـةـ لـهـاـ (ـزـيـ قـلـتـهـاـ)،ـ

وـأـخـرـاـ،ـ المـثالـ الرـابـعـ:ـ هـذـهـ الـهـيـجـةـ الـإـلـاعـمـيـةـ الـتـىـ قـامـ بـهـاـ وـرـيـزـنـاـ الـفـنـاـضـلـ،ـ هـجـومـاـ،ـ وـتـهـيـداـ،ـ وـوـعـيـداـ،ـ وـاـتـهـامـاتـ بـالـرـشـوةـ وـالـتـرـبـيـطـاتـ،ـ مـعـ أـنـ الطـبـيـعـةـ الـاـنـتـخـابـيـةـ (ـهـذـاـ هـوـ اـسـمـ الرـسـيـبيـ دـيـقـرـاطـيـاـ:ـ الـمـطـبـخـ،ـ وـالـاـتـفـاقـاتـ فـتـ المـنـضـدـةـ،ـ وـالـتـنـقـلـاتـ الـمـفـاجـةـ،ـ كـلـهـاـ هـىـ مـنـ أـلـفـ بـاءـ قـوـاـعـدـ الـلـعـبـةـ الـتـىـ يـعـرـفـهـاـ الـوـزـيـرـ أـكـثـرـ مـنـ وـاحـدـ مـثـلـ حـالـاتـ لـيـسـ دـيـقـرـاطـيـاـ بـالـرـمـةـ،ـ خـاصـةـ وـقـدـ أـمـضـىـ سـيـادـتـهـ رـدـحاـ مـنـ الـزـمـنـ فـيـ بـلـادـ الـفـرـجـةـ،ـ فـهـوـ يـعـرـفـ تـعـاماـ أـنـ هـذـهـ الـأـلـاعـبـ وـالـاـتـفـاقـاتـ وـالـمـنـاوـرـاتـ الـتـىـ يـعـزـىـ إـلـيـهاـ خـسـارـتـهـ،ـ هـىـ بـالـضـبـطـ،ـ قـوـاـعـدـ الـدـيـقـرـاطـيـةـ عـالـيـاـ.

أـيـهـاـ السـادـةـ لـاـ مـانـعـ أـنـ تـرـىـ عـيـوبـ الـدـيـقـرـاطـيـةـ،ـ وـمـنـ بـيـنـهـاـ كـلـ مـاـ سـبـقـ،ـ لـكـنـ مـاـ دـمـتـ قـدـ رـضـيـتـ أـنـ تـعـاـمـلـ بـهـاـ فـلـتـحـرـمـ قـوـاـعـدـهـاـ الـنـظـيفـةـ وـالـقـذـرـةـ،ـ الـظـاهـرـةـ وـالـخـفـيـةـ

وـحـتـىـ يـتـمـ تـحـديـثـ هـذـهـ الـدـيـقـرـاطـيـةـ بـنـظـامـ أـنـظـفـ وـأـقـوىـ،ـ دـونـ نـكـسـةـ دـيـكـتـاتـورـيـةـ،ـ بـفـضـلـ الإـبـدـاعـ وـالـتـكـنـوـلـوـجـيـاـ،ـ دـعـونـاـ خـتـرـمـ مـاـ جـرـىـ،ـ حـقـ جـتـرـمـونـنـاـ،ـ وـلـنـكـفـ عـنـ تـشـويـهـ أـنـفـسـنـاـ بـكـلـ هـذـاـ الجـهـلـ وـالـضـحـيجـ.